Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, Supplement 1, 2024

Deanship of Scientific Research

Nominal Forms of Address and their Pragmatic Functions in Arab Society in the Era of Prophet Muhammad PBUH through Sīratu ibni Hishām; A Sociolinguistic Study

Muhammed Muvaffak Alhasan [1]*, ***Ahmad Mohammad Dello*** [2]

[1]Arabic Language and Literature Program, Sohar University, Sohar, Oman.

[2]Arabic Language and Literature Department, Aleppo University, Aleppo, Syria.

Received: 21/3/2023
Revised: 22/7/2023
Accepted: 7/8/2023
Published: 30/6/2024

* *Corresponding author:*
alhasan.moaffak@gmail.com

Citation: Alhasan, M. M., & Mohammad Dello, A. (2024). Nominal Forms of Address and their Pragmatic Functions in Arab Society in the Era of Prophet Muhammad PBUH through Sīratu ibni Hishām; A Sociolinguistic Study. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 509–521.
https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.4483

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study sought to investigate the nominal forms of address in the Arab society during the Prophet Muhammad's era through the book sīratu ibni Hishām.

Methods: The research selected Ibn Hisham's biography as a sample for the study. It analyzed the various forms of address found in the text using theoretical perspectives such as power/solidarity, intimacy/distance, and politeness. Furthermore, the study highlighted the role of social variables, such as age, gender, and social status, in the selection of forms of address.

Results: The research concluded that the variables of age and social status played a role, albeit limited to specific social contexts, in determining the choice of forms of address. However, regarding gender, the study's sample did not provide sufficient evidence to draw a convincing conclusion.

Conclusions: The research demonstrates that the selection of forms of address in many instances within the sample was not random; rather, it was purposeful and employed pragmatically with the aim of influencing communication outcomes.

Keywords: Forms of address, Pragmatics, Prophet Muhammad's Era, Arab society, sīrat ibn Hishām.

صيغ المخاطبة الاسمية ووظائفها التداولية في المجتمع العربي في عصر النُّبوّة من خلال سيرة ابن هشام: دراسة لغوية اجتماعية

محمد موفق الحسن [1]*، ***أحمد محمد دللو*** [2]

[1]برنامج اللغة العربية وآدابها، كلية التربية والآداب، جامعة صُحار، صُحار، سلطنة عُمان.

[2]قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، حلب، سوريا.

ملخّص

الأهداف: تحظى دراسة صيغ المخاطبة "forms of address" بوصفها خصيصة مهمة للتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع، بأهمية بالغة في إطار علم اللغة الاجتماعي؛ إذ يمكنها أن تزودنا بمعلومات لغوية-اجتماعية قيّمة حول المتحاورين، وعلاقاتهم، وظروفهم؛ لكونها آلية لغوية ينعكس من خلالها موقف المتحدث تجاه علاقته بمتحدث آخر وتقييمه له. سعى هذا البحث إلى دراسة صيغ المخاطبة في المجتمع العربي خلال العصر النبوي دراسة تداولية.

المنهجية: اتخذ البحث من سيرة ابن هشام عينة للدراسة؛ حيث استقرأ أشكال صيغ المخاطبة الواردة فيها، ثم درسها في ضوء نظريات: السلطة / التضامن، والألفة / المسافة، والتأدب؛ مبينًا دور المتغيرات الاجتماعية كالعمر والجنس والمكانة في اختيار صيغ المخاطبة.

النتائج: خلص البحث إلى أن متغيري العمر والمكانة قد لعبا دورًا -وإن مكان محدودًا في أطر اجتماعية معينة- في اختيار صيغ المخاطبة. أما فيما يخص الجنس فلم تقدم عينة الدراسة شواهد كافية تفضي إلى استنتاج مقنع.

الخلاصة: توصل البحث إلى أن اختيار صيغ المخاطبة في كثير من أمثلة عينة الدراسة لم يكن عشوائيًا، بل كان قصديًا وموظفًا توظيفًا تداوليًا غايته التأثير في مآلات التخاطب.

الكلمات الدالة: صيغ المخاطبة، التداولية، العصر النبوي، المجتمع العربي، سيرة ابن هشام.

المقدمة

تحظى دراسة صيغ المخاطبة forms of address -بوصفها خصيصة مهمة للتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع- بأهمية بالغة في إطار علم اللغة الاجتماعي؛ إذ يمكنها أن تزودنا بمعلومات لغوية-اجتماعية قيّمة حول المتحاورين، وعلاقاتهم، وظروفهم (Zavitri and all, 2018)؛ لكونها آلية لغوية ينعكس من خلالها موقف المتحدث تجاه علاقته بمتحدث آخر وتقييمه له (Brown and Levinson, 1987).

يمكن تعريف صيغ المخاطبة بأنها كلمات تُستخدم من قبل المتكلمين لمخاطبة محاوريهم في أثناء تواصلهم معهم (Fasold, 1990). أو بأنها كلمات تعكس بدرجة أكبر من الجوانب الأخرى للغة الخلفية الاجتماعية واللغوية للمتحاورين (Philipsen and Huspek, 1985). حيث إن الناس إبان انخراطهم في المحادثات اللغوية يظهرون -عن وعي أو عن غير وعي- هويتهم، وانتماءهم إلى ثقافة أو جماعة معينة، وكذلك ميلهم إلى أن يكونوا قريبين أو بعيدين من الطرف الآخر في الحوار من خلال اختيارهم لصيغة معينة من صيغ المخاطبة دون أخرى (Qin, 2008). علاوة على ذلك، يتأثر اختيار صيغ مخاطبة بعينها أيضًا بعوامل أخرى مثل الجنس أو العمر أو العلاقة الأسرية أو التسلسل الهرمي المهني أو درجة الألفة بين المتحاورين (Yang, 2010).

الخلفية النظرية لدراسة صيغ المخاطبة:

تعدّ الدراساتُ التي أجراها براون وجيلمان Brown and Gilman، وبروان وفورد Brown and Ford في ستينيات القرن العشرين دراساتٍ مؤسسةً في هذا الحقل البحثي. ففي الدراسة الأولى ركّز براون وجيلمان على بعدين أساسيين يؤطران علاقات المتحاورين فيما يتعلق باختيار صيغ المخاطبة هما: السلطة power، والتضامن. وقد طبّق الباحثان في هذه الدراسة مقولاتهما النظرية على مجموعة من لغات أوربا الغربية التي تتضمن –على مستوى الضمائر- صيغًا متمايزة للتوجه للمخاطب: صيغة التعظيم (vos = أنتم/حضرتك)، وصيغة الألفة (tu = أنت)؛ حيث خلص الباحثان إلى أن هذه الصيغ هي بقايا ما كان سائدًا في أوربا حتى القرن التاسع عشر حين كان استعمال ضميرين متمايزين لخطاب "الشخص الثاني second person" يعكس الحياة الاجتماعية لتلك العصور؛ إذ يستعمل أفراد الطبقة الدنيا صيغة التعظيم (vos) حين خطاب أفراد الطبقة العليا، في حين يستعمل أفراد الطبقة العليا صيغة (tu) لمخاطبة أفراد الطبقة الدنيا. كما يلتزم أفراد الطبقة العليا بصيغة (vos) لمخاطبة بعضهم بعضًا، بينما يلتزم أفراد الطبقة الدنيا بصيغة (tu) لمخاطبة بعضهم بعضًا. (Brown and Gilman, 1960).

وفي الدراسة الثانية؛ فقد ركّز براون وفورد على بعدي: الألفة intimacy، والمسافة distance اللذَيْن تعكسهما صيغ المخاطبة غير الضمائرية أو الاسمية nominal. وقد خلص الباحثان إلى أن الألفة والمسافة بين المتحاورين هما العاملان الرئيسان اللذان يؤثران في اختيار صيغة الخطاب، وخلصا أيضًا إلى أن عوامل اجتماعية أخرى مثل العمر، والجنس والمكانة تمثل محددات في حالة عدم المخاطبة بالمثل (Brown and Ford, 1961).

ورغم أهمية أعمال بروان وجيلمان، وبروان وفورد السابقة بوصفها دراسات مؤسسة في حقل تحليل صيغ المخاطبة في إطار علاقة اللغة بالمجتمع؛ إلا أن بعض الانتقادات قد وجهت إليهما فيما يتعلق بعدم أخذهما في الحسبان حقيقة التنوع في أنظمة المخاطبة عند الشعوب، وخصوصًا عند الشعوب غير الأوربية التي قد تخلو أنظمتها اللغوية من ضمائر التفخيم للمخاطب كما في اللغة العربية مثلًا (Alharbi, 2015). وفي الحقيقة فإن الالتزام بحرفية النظريتين السابقتين إبان دراسة صيغ المخاطبة في اللغات غير الأوربية قد يكون بعيدًا عن الصحة وفيه إجحاف؛ إلا أن الاستضاءة بالفكرة العامة لهما تقدم فائدة كبيرة لمقاربة صيغ المخاطبة ضمن علاقاتها بالبعد الاجتماعي للغة.

وفي ثمانينيات القرن العشرين ظهرت نظرية التأدب Politeness theory على يد بروان وليفينسون كمقاربة جديدة لتحليل استعمال صيغ المخاطبة في اللغة متأثرَين في مقولات عالم الاجتماع غوفمان Goffman. وفي هذه النظرية تحدث براون وليفينسون عن شكلين من التأدب: التأدب الإيجابي، والتأدب السلبي؛ حيث ينطوي التأدب الإيجابي على استعمال صيغ المخاطبة غير الرسمية (مثل الاسم الأول) في محاولة لتأكيد المخاطِب على علاقة القرب من مخاطَبه، في حين يعُدّ التأدب السلبي وسيلة لتجنب المواقف المحرجة، وذلك عن طريق تطبيق استراتيجية التجنب من خلال استعمال صيغ المخاطبة الرسمية مثل اللقب. (Brown and Levinson, 1987)

سنحاول في هذه الدراسة أن نتكئ على هذه الخلفية النظرية لدراسة صيغ المخاطبة الاسمية في المجتمع العربي في عهد النبوّة كما تجلت من خلال سيرة ابن هشام (ibnu Hishām, 1955) مكتفين بتبني المقولات العامة لهذه الطروحات دون الالتزام الحرفي بتطبيق إحداها؛ ففي بحثنا عن العوامل الخارجية، أو المتغيرات الاجتماعية-اللغوية التي تلعب دورًا في تحديد صيغ الخطاب سنطبق مقولات (العمر والجنس والمكانة) على عينة الدراسة. بينما سنقتبس من نظرية التأدب دور العوامل الداخلية، وقصدية المتكلم في اختيار صيغ المخاطبة اختيارًا وظيفيًا تداوليًا.

إشكالية الدراسة

رغم الأهمية البالغة التي تحظى بها دراسة صيغ المخاطبة في استكناه جوانب مهمة من ملامح المجتمعات؛ إلاّ أنّ الدراسات المكرسة لها عربيًا تبدو نادرة ومحدودة مقارنة بمثيلاتها في اللغات الأخرى، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تنطلق من فرض أن استعمال صيغ المخاطبة لا يكون عفويًا،

بل يكون مرتبطًا بتوظيف واعٍ يخدم غايات المتكلم ويعكس وعيه بمحددات الخطاب. وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن جملة من التساؤلات:

- ما هي صيغ المخاطبة الاسمية التي كانت سائدة في المجتمع العربي في عصر النبي ﷺ؟
- ما شكل البنى الاجتماعية التي تعكسها صيغ المخاطبة الاسمية التي كانت مستخدمة في المجتمع العربي في عصر النبوّة في ضوء عوامل (العمر، والجنس، والمكانة)؟
- هل تعكس السياقات التي وردت فيها صيغ المخاطبة توظيفًا تداوليًا واعيًا من قبل المتحاورين للتحكم بمآلات المحادثات؟

عينة الدراسة

اختيرت سيرة ابن هشام (ibnu Hishām, 1955) لتكون عينة لهذه الدراسة لما تحظى به هذه السيرة من أهمية فيما يخص توثيق أحداث حياة المسلمين طوال فترة حياة النبي ﷺ. وتتجلى أهمية هذه السيرة في أنها تقدم لنا توثيقًا حيًّا للمحادثات التي كانت تدور في ذلك المجتمع؛ فسيرة ابن هشام ليست مجرد كتاب تاريخي يؤرخ لأحداث ذلك العصر فحسب، بل هي وثيقة تاريخية حفظت لنا كمًا هائلًا من المحادثات التي كانت تدور بين أبناء ذلك العصر بألسنتهم كما نطقوا بها، ومن هنا فإنها تعد وثيقة بالغة الأهمية لتحليل لغة خطاب ذلك العصر عمومًا وتحليل صيغ المخاطبة التي سادت فيه على وجه الخصوص. وتمت الإحالة إلى سيرة ابن هشام في البحث كالآتي: لتوثيق مكان الشاهد ضمن الجداول: رقم الجزء: رقم الصفحة. وسيخضع توثيق الاقتباسات النصية لطريقة APA نفسها المعتمدة مع بقية المراجع.

منهج الدراسة وإجراءاتها

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وقد استقصى الباحث أولًا صيغ المخاطبة التي وردت في كتاب سيرة ابن هشام، ثم فرزها وحللها واستخلص النتائج منها في ضوء الفروض والتساؤلات التي طرحتها الدراسة.

الدراسات السابقة

تبدو الدراسات التي تركز على تحليل صيغ المخاطبة في اللغة العربية شحيحة قياسًا إلى الاهتمام الذي حظيت به هذه الظاهرة في اللغات الأخرى. وفيما يلي بعض الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة عربيًا:

دراسة بعنوان السياق المقامي وأهميته في تفسير صيغ المخاطبة في الخطاب النبوي (Solonj and Yub, 2012.) كرسها المؤلفان لدراسة تأثير سياق المقام في استعمال صيغ المخاطبة في الخطاب النبوي، وقد اقتصرا فيها على تحليل صيغ المخاطبة التي استعملها النبي ﷺ في خطابه للناس وتحديدًا أثر السياق المقامي في توجيهها.

دراسة بعنوان ملامح المقاربات التداولية عند علماء التفسير في توجيه دلالة صيغ مخاطبة البشر للبشر في القرآن الكريم (Alhasan, in press)، درس فيها الباحث ملامح المقاربات التداولية التي ظهرت عند علماء التفسير في توجيههم لدلالة صيغ مخاطبة البشر للبشر في القرآن الكريم، من خلال تتبع الآراء التي تبناها المفسرون في تأويلهم لاختيار صيغة مخاطبة دون أخرى من قبل المتحاورين في ضوء المقاربات التداولية، وخاصّة نظرية التهذيب.

أطروحة دكتوراة (باللغة الإنكليزية) بعنوان " دراسة اجتماعية تداولية لصيغ المخاطبة وألفاظ الإحالة في اللغة العربية الفصحى كما وردت في سورة يوسف في القرآن الكريم (Alharbi, 2015). درست فيها الباحثة صيغ المخاطبة الضمائرية والاسمية في سورة يوسف في ضوء نظريات السلطة / التضامن، والألفة / المسافة، ونظرية التأدب.

رسالة ماجستير بعنوان: " صيغ المخاطبة التي يستعملها الأزواج لمخاطبة زوجاتهم في المناطق الحضرية والريفية في فلسطين" (Emar, 2021) كرسها الباحث لدراسة صيغ المخاطبة التي يستعملها الأزواج لمخاطبة زوجاتهم في مدينة الخليل التي تعد مدينة حضرية في فلسطين، ومحافظة يطا التي تعد منطقة ريفية في جنوب مدينة الخليل، وتحديد العوامل التي تؤثر في استعمال هذه الصيغ.

نتائج الدراسة

أولًا: أشكال صيغ المخاطبة في عينة الدراسة:

من خلال استقراء صيغ المخاطبة الواردة في سيرة ابن هشام وجد البحث أنها توزّعت على الأشكال الآتية:

أ. صيغ مخاطبة المخاطَب المعلوم: وردت في عينة البحث عدة أشكال من صيغ المخاطبة مستخدمة لمخاطبة المخاطَب المعلوم، ومن هذه الصيغ:

1. **المخاطبة بالكنية:** والكنية تمثلها مناداة الشخص باسم ابنه، أو ابنته مسبوقًا بكلمة أب، أو أم (يا أبا فلان، يا أم فلان..)، أو باسم أبيه، أو أمه مسبوقًا بكلمة ابن، أو ابنة (يا بن فلان، يا بنت فلان، أو يا بنة فلان...). كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
أبو طلحة	زوجته	يا أم سُلَيم	2: 446
الرسول ﷺ	صفوان بن أمية	يا أبا أمية	2: 440
أبو سفيان	علي بن أبي طالب	يا أبا الحسن	2: 397
نفرٌ من قريش	أسماء بنت أبي بكر	يا بنت أبي بكر	1: 487
أبو سفيان	فاطمة بنت رسول الله ﷺ	يا بنة محمد	2: 396
الرسول ﷺ	عمر بن الخطاب	يا بن الخطاب	1: 348

2. **المخاطبة بالاسم الأول:** وردت المخاطبة بالاسم الأول في عينة البحث كصيغة شائعة من الصيغ المستخدمة كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
عائشة رضي الله عنها	عامر بن فهيرة مولى أبي بكر	يا عامر	1: 589
أُبَيّ بن خلف	الرسول ﷺ	يا محمد	1: 361
الرسول ﷺ	حمزة بن عبد المطلب	يا حمزة	1: 625
الرسول ﷺ	علي بن أبي طالب	يا علي	2: 430
الرسول ﷺ	زوجته عائشة	يا عائشة	2: 601
زوج حليمة السعدية	زوجته حليمة السعدية	يا حليمة	1: 163
خبّاب بن الأرت	عمر بن الخطاب	يا عمر	1: 345

3. **المخاطبة بألفاظ القرابة** Kinship terms**:** ألفاظ القرابة هي تلك الألفاظ التي تعبّر عن صلات القربى بين أفراد الأسرة، مثل: (أب، أم، أخ، أخت، عم، خالة..). وقد وردت ألفاظ القرابة بوصفها صيغ مخاطبة في عينة الدراسة على شكلين: الأول يتم فيه استعمال هذه الصيغة على حقيقتها؛ أي يعكس صلة القرابة الفعلية بين المتحاورين، كما في الأمثلة التالية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
أبو طالب	الرسول ﷺ	يا بن أخي	1: 418
الرسول ﷺ	عمه أبو طالب	أي عم	1: 418
خديجة بنت خويلد	محمد بن عبدالله قبل أن يصبح زوجها	يا بن عم	1: 239
الرسول ﷺ	فاطمة بنت النبي ﷺ	يا بُنيّة	2: 100
أبو بكر الصديق	أخته	أي أخيّة	2: 406
عبدالله بن حرام	ابنه جابر	يا بني	2: 101

والثاني، يتم فيه اختيار هذه الصيغة اختيارًا وظيفيًا بغية خلق جو من الألفة مع المخاطَب، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
الرسول ﷺ	سَلَمَة بن سَلامة	أيْ ابن أخي	1: 644
الرسول ﷺ	جابر بن عبدالله	يا بن أخي	2: 207
حذيفة بن اليمان	رجل من أهل الكوفة	يا بن أخي	2: 231

4. **المخاطبة بالاسم الكامل:** يتضمن الاسم الكامل Full name في العصر الحديث اسم الشخص واسم عائلته كعنصرين لازمين مع إمكانية وجود اسم الأب والجد. أما ما نقصده بالاسم الكامل في عينة الدراسة فهو مخاطبة الشخص باسمه واسم أبيه. وقد وردت صيغة المخاطبة هذه في عدد قليل جدًا من الحالات، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
الرسول ﷺ	عُبيدة بن الحارث	يا عبيدة بن الحارث	1: 625
الرسول ﷺ	عمرو بن سالم	يا عمرو بن سالم	2: 395
الرسول ﷺ	عَديّ بن حاتم	يا عدي بن حاتم	2: 580

5. **المخاطبة باللقب Title:** والمقصود باللقب تلك الألفاظ التي تعبّر عن مكانة الشخص ووظيفته الدنيوية أو الدينية. كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
حبران من أحبار اليهود	تُبّع اليمن حسان بن تُبّان أسعد أبي كرب	أيها الملك	1: 22
جابر بن عبدالله	الرسول ﷺ	يا رسول الله	2: 206
أبو أيوب الأنصاري	الرسول ﷺ	يا نبي الله	1: 498
سعيد بن عامر الجمحي	عمر بن الخطاب	يا أمير المؤمنين	2: 173

6. **المخاطبة بالصفة:** وهي حالة خاصة لمحها البحث في عينة الدراسة؛ حيث تتم مخاطبة الشخص بصفة تعكس موقف المخاطِب منه وتقييمه له، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
حمزة بن عبد المطلب	سِباع بن عبد العزّى الغُبْشاني (من كفار قريش)	يا ابن مقطّعة البظور (وكانت أمه خَتّانة بمكة)	2: 69
المسلمون	عبدالله بن أُبَي بن سَلول	أَيْ عدوّ الله	2: 105
الرسول ﷺ	بنو قريظة	يا إخوان القِرَدة	2: 234
عروة بن مسعود	المغيرة بن شعبة	أيْ غُدَر	2: 313
المسلمون في المدينة	جيش المسلمين العائد من غزوة مُؤتة	يا فُرّار	2: 382

ب. صيغ مخاطبة المخاطَب غير المعلوم:

أظهرت عينة الدراسة مجموعة من صيغ المخاطبة التي تستعمل حين يكون المخاطَب غير معلوم لدى المخاطِب إما لأن المخاطَب جماعة من الناس، وإما لأن المخاطِب لا يعرف المخاطَب أصلًا، وفي هذه الحالة يلجأ المخاطِب إلى كلمات عامة لمخاطبة محاوره، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
رجل من إراش (لا يعرف النبي ﷺ)	الرسول ﷺ	يا عبدالله	1: 389
البراء بن معرور	بعض من بني قومه من الأنصار	يا هؤلاء	1: 439
الراهب بَحيرى	النبي ﷺ وهو غلام في قافلة عمه أبي طالب	يا غلام	1: 182
شيخ من بني عامر	قومه بنو عامر	يا بني عامر	1: 425
يهودي	يهود يثرب	يا معشر يهود	1: 159
الراهب بحيرى	قافلة تجارة قريش	يا معشر قريش	1: 182
العباس بن عبد المطلب	الأنصار يوم بيعة العقبة	يا معشر الخزرج	1: 441
الرسول ﷺ	أهل المدينة	أيها الناس	1: 615
نوفل بن معاوية الدِّيلي	بنو الدِّيل من بني بكر	يا بني بكر	2: 390

من خلال تحليل أشكال صيغ المخاطبة في العصر النبوي كما تجلت في سيرة ابن هشام؛ يمكن التوقف عند النقاط الآتية:

- تبدو صيغة المخاطبة بالكنية الصيغة الرسمية للتخاطب في المجتمع العربي في تلك الفترة؛ فهي تبدو من خلال السياقات التي وردت فيها أكثر رسمية من مخاطبة الشخص باسمه الأول.
- تبرز صيغة المخاطبة بالاسم الأول واحدةً من الصيغ الشائعة للتخاطب في ذلك العصر، وهي تتجلى بوصفها الصيغة غير الرسمية للتخاطب.
- تخلو مخاطبات أفراد المجتمع العربي في ذلك العصر من الألقاب الاجتماعية مثل (سيد، أو سيدة..).
- يشيع استعمال ألفاظ القرابة بوصفها صيغة تخاطب سواء بين أفراد الأسرة، أو من قبل الأفراد غير المنتمين لأسرة واحدة لغايات وظيفية بغية خلق جو من الألفة مع المخاطَب.
- أظهرت عينة الدراسة استعمال الألقاب الوظيفية بوصفها صيغة مخاطبة خاصة في سياقات محددة كمخاطبة الرسول ﷺ، أو مخاطبة ملوك الدول في ذلك العصر، أو مخاطبة خليفة المسلمين عقب وفاة النبي ﷺ.
- وردت في عينة الدراسة نماذج قليلة محدودة تمت فيها المخاطبة بالاسم الكامل؛ أي باسم الشخص واسم أبيه.
- أظهرت العينة نوعًا خاصًا من صيغ المخاطبة تتم فيه مخاطبة الشخص من خلال وصفه بصفة تبين موقف المخاطِب منه، مثل: يا عدو الله، يا غُدَر..

ثانيًا، دور المتغيرات الاجتماعية-اللغوية في توجيه صيغ المخاطبة في ضوء نظريتي السلطة / التضامن، والألفة / المسافة

لقد انطلقت نظريتا السلطة power / التضامن solidarity، والألفة intimacy / المسافة distance من معطى واحد هو التكافؤ أو عدم التكافؤ في استعمال صيغة المخاطبة من قِبل المتحاورين. ويتلخص طرح بروان وجيلمان في نظرية السلطة / التضامن في أن دلالة البعد السلطوي power dimension تنطوي على علاقة رأسية، وغير تماثلية بين المخاطِب والمخاطَب، التي هي انعكاس للاختلاف في السلطة أو القوة بينهما، ويتجلى ذلك على شكل عدم المبادلة بالمثل في استعمال صيغ المخاطبة؛ حيث يلتزم المخاطَب الأقل سلطة باستعمال صيغة التعظيم مع مخاطَبه الأعلى سلطة، بينما يتوجه المخاطِب الأعلى سلطة إلى مخاطَبه الأقل سلطة بصيغة الخطاب غير الرسمية أو الخالية من التعظيم. والاختلافات في السلطة بحسب النظرية قد تكون ناتجًا من اعتبارات متعددة (كالقوة الجسدية، أو الصحة، أو العمر، أو الجنس، أو الدور المؤسسي في الكنيسة، أو في الجيش، أو في الدولة، أو ربما ضمن العائلة). بينما يُنظَر إلى البعد التضامني solidarity dimension على أنه يعكس علاقة أفقية تماثلية بين متحاورَين متكافئين يستعملان صيغ خطاب متماثلة (Brown and Gilman, 1960).

وفي نظرية الألفة / المسافة؛ فيركز براون وفورد على بعدي: الألفة، والمسافة اللذَيْن تعكسهما صيغ المخاطبة غير الضمائرية أو الاسمية nominal. وقد خلص الباحثان إلى أن الألفة والمسافة بين المتحاورين هما العاملان الرئيسيان اللذان يؤثران في اختيار صيغة الخطاب، وخلصا أيضًا إلى أن عوامل اجتماعية أخرى مثل العمر، والجنس والمكانة تمثل محددات في حالة عدم المخاطبة بالمثل كأن يخاطب الكبير أو ذو المكانة الصغير باسمه الأول، بينما يحافظ الصغير أو من هو أقل مكانة على استعمال اللقب أو اسم العائلة في خطابه للطرف الآخر.

طبّق الباحث على عينة الدراسة ثلاثة من المتغيرات اللغوية الاجتماعية sociolinguistic variables التي يُفترَض أنها تلعب دورًا في اختيار صيغ المخاطبة وهي: العمر، والجنس، والمكانة.

1. العُمر Age:

أظهرت عينة الدراسة دورًا لعامل العُمر في تحديد صيغة المخاطبة؛ فعدم التكافؤ في استعمال صيغة المخاطبة من طرفي الخطاب يبدو حاضرًا بين المتحاورين؛ حيث يتلقى المخاطَبون الأكبر سنًا دائمًا صيغ مخاطبة أكثر رسمية كالكنية، أو إحدى ألفاظ القرابة، ولا يتلقون أبدًا صيغة المخاطبة بالاسم الأول. بينما لا يحدث العكس؛ حيث يمكن أن يتوجّه المخاطِبون الأكبر سنًا لمحاوريهم الأصغر سنًا بصيغة المخاطبة بالاسم الأول.

ويمكن توضيح احتمالات التخاطب التي تنتج وفقًا لعامل العمر كالآتي:

أ. حين يكون المخاطِب أكبر سنًا من المخاطَب؛ فإنّ عينة الدراسة أظهرت ثلاثة أشكال من صيغ المخاطبة: (الكنية، والاسم الأول، ولفظة القرابة). كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
ورقة بن نوفل (شيخ كبير)	الرسول ﷺ وقت بعثته (أربعون عامًا)	يا بن أخي	1: 238
أبو طالب	ابن أخيه رسول الله ﷺ	يا بن أخي	1: 247
الوليد بن المغيرة	الرسول ﷺ	يا بن أخي	1: 293
أبو سفيان	علي بن أبي طالب	يا علي	2: 397
أُبي بن خلف	محمد ﷺ	يا محمد	1: 361

ب. أما في الاتجاه المعاكس؛ أي حين يكون المخاطِب أصغر سنًا من المخاطَب؛ فإن المخاطِب يلتزم صيغ المخاطبة الأكثر رسمية كالكنية، ولفظ القرابة، ولا يستعمل أبدًا صيغة الاسم الأول غير الرسمية، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
رجل من أهل الكوفة	حذيفة بن اليمان	يا أبا عبدالله	2: 231
الرسول ﷺ	عمه أبو طالب	أي عم	1: 247
الرسول ﷺ	الوليد بن المغيرة	يا أبا الوليد	1: 294
الرسول ﷺ	صفوان بن أمية	يا أبا أمية	2: 440

ج. أما إذا كانت سِنّ المتخاطِبَين متساوية (نسبيًا وتقريبيًا)؛ فإن المخاطبة يغلب عليها الاسم الأول، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
خَبّاب بن الأَرَت	عمر بن الخطاب	يا عمر	1: 345
عمر بن الخطاب	خباب بن الأرت	يا خباب	1: 345

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
هشام بن عمرو	زهير بن أبي أمية بن المغيرة	يا زهير	1: 375
هشام بن عمرو	المطعم بن عدي	يا مطعم	1: 375
عمرو بن معدِ يكرب	قيس بن مَكشوح المُرادي	يا قيس	2: 583

ويجب هنا أخذ أمر مهم في الحسبان، وهو أن كل الامثلة من هذا النوع في عينة الدراسة هي لمتخاطبين يعرفون بعضهم بعضًا من قبل، ولا ندري هل كانت هذه الصيغة لتكون هي المرجحة لو تلاقى متخاطبان لأول مرة.

2. **الجنس Sex:**

لا تقدم عينة الدراسة أمثلة كافية يمكن من خلالها رسم صورة واضحة لدور جنس المتخاطبين في تحديد صيغ المخاطبة؛ لذا فإننا سنكتفي بإيراد الحالات التي أتاحتها شواهد العينة دون أن نخاطر باستنتاجات قد لا تكون دقيقة. ويمكن الحديث عن دور عامل الجنس في تحديد صيغ المخاطبة في عينة الدراسة ضمن الإطارين الآتيين:

أ. لم تقدم الأمثلة المستقرأة في عينة الدراسة محاورةً تامةً بين رجل وامرأة ليسا زوجين وليسا من عائلة واحدة يمكن أن يُعرَف من خلالها هل تتم المخاطبة على نحو متبادل بالصيغة نفسها أو لا؛ فالعينة تقدم بعض الأمثلة التي فيها مخاطبة جزئية من طرف واحد فقط، وفيها نجد الرجل يخاطب امرأة بكنيتها، أو باسمها الأول، وامرأة تخاطب رجلًا بكنيته أو باسمه الأول، لكن في سياقات منفصلة، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
أم سُلَيم	أبو لُبابة بن عبد المنذر	يا أبا لُبابة	2: 237
ورقة بن نوفل	خديجة بنت خويلد	يا خديجة	1: 191
عائشة	عامر بن فهيرة (مولى أبي بكر)	يا عامر	1: 588
مولاة عبدالله بن جدعان	حمزة بن عبد المطلب	يا أبا عُمارة	1: 292
أبو سفيان	فاطمة بنت محمد ﷺ	يا بنة محمد	2: 396
أبو جهل ونفر من قريش	أسماء بنت أبي بكر	يا بنت أبي بكر	1: 487

ب. أما فيما يخص المخاطبة بين الرجل والمرأة الزوجين؛ فإن عينة الدراسة قدمت شواهد ضمن الحالات الآتية:

1. خطاب الزوج زوجته: وردت شواهد لخطاب الزوج زوجته بكنيتها، وباسمها الأول:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
الرسول ﷺ	عائشة	يا عائشة	2: 643
أبو طلحة الأنصاري	زوجته أم سُليم بنت ملحان	يا أم سُليم	2: 446
زوج حليمة السعدية	حليمة السعدية	يا حليمة	1: 163

2. خطاب الزوجة لزوجها: وردت شواهد تخاطب فيها الزوجة زوجها بكنيته، أبو بلفظة قرابة كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
خديجة بنت خويلد (قبل إسلامها)	رسول الله ﷺ (يوم بعثته)	يا أبا القاسم	1: 237
خديجة بنت خويلد	رسول الله ﷺ (يوم بعثته)	يا بن عم	1: 238

ولم ترد –على الأقل في سيرة ابن هشام، عينة الدراسة- شواهد تخاطب فيها الزوجة زوجها باسمه الأول.

ج. صيغ المخاطبة في حال كون الرجل والمرأة من عائلة واحدة: أظهرت عينة الدراسة عدة شواهد لمتخاطِبَيْن رجلٍ وامرأةٍ من عائلة واحدة، وقد غلب عليها استعمال ألفاظ القرابة صيغةً للمخاطبة، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
حكيم بن حِزام بن خويلد	عمّته خديجة بنت خويلد	يا عمّة	1: 248
عاتكة بنت عبد المطلب	أخوها العباس	يا أخي	1: 607
أبو سفيان	ابنته أم حبيبة	يا بُنيّة	2: 396
أبو بكر الصديق	أخته	أيْ أُخيّة	2: 406

3. المكانة:Status

من خلال تحليل الأمثلة المستقاة من عينة الدراسة يمكن الحديث عن دور المكانة في تحديد صيغ المخاطبة ضمن مجموعة من الأطر:

الإطار الأول: ويمثل العلاقات البينية ضمن المجتمع العربي حتى بعثة النبي ﷺ:

فضمن هذا الإطار لا تعكس صيغ المخاطبة أية إشارات ضمن بُعد السلطة power dimension؛ حيث يظهر كل المتخاطبين متكافئين ويستعملون صيغ خطاب متكافئة بصرف النظر عن وظائفهم الاجتماعية أو مكانتهم. وقد أظهرت عينة الدراسة أن المكانة الاجتماعية لا تلعب أي دور في فرض نمط خطاب رأسي vertical وغير متماثل asymmetrical ؛ فنجد على سبيل المثال الأفراد يخاطبون سيد القبيلة بكنيته، أو باسمه الأول دون ألقاب وظيفية أو تشريفية، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
قومٌ من الأوس	سيد الأوس سعد بن معاذ	يا أبا عمرو	2: 239
دريد بن الصمة	سيد هوازن يوم حُنين	يا مالك	2: 438
قومٌ من الأنصار	عبدالله بن عمرو بن حرام (سيد من سادات الأنصار	يا أبا جابر	1: 448
غلام "عربي" من غلمان عدي بن حاتم	عدي بن حاتم (سيد قومه)	يا عَديّ	2: 578

الإطار الثاني: ويمثل شكل التخاطب بين الرسول ﷺ، وأفراد المجتمع الإسلامي؛ وفي هذا المستوى نلمح بروزًا للعلاقة الرأسية التي تعكس مقام النبوة المصون شرعًا بنص الآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (Al-Quran 49:2). فنجد سيادةً لعدم المخاطبة بالمثل في صيغ المخاطبة بين طرفي الحوار الذي يكون الرسول ﷺ طرفًا فيه؛ إذ يحافظ محاورو الرسول ﷺ على استعمال صيغة الخطاب التي تعكس الوظيفة الدينية والمكانة الخاصة للنبي ﷺ؛ فيتم خطابه بـ "يا رسول الله"، أو "يا نبي الله"، بينما تكون مخاطبة الرسول ﷺ لهم بإحدى صيغ المخاطبة العادية كالاسم الأول، أو الكنية، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
الرسول ﷺ	عمر بن الخطاب	يا أبا حفص	1: 629
عمر بن الخطاب	الرسول ﷺ	يا رسول الله	1: 629
الرسول ﷺ	أبو بكر الصديق	يا أبا بكر	1: 399
أبو بكر الصديق	الرسول ﷺ	يا نبي الله	1: 399

الإطار الثالث: ويمثل نمط التخاطب بين أفراد المجتمع العربي الأحرار، ومواليهم من العبيد؛ إذ نجد في عينة الدراسة عدة حالات يكون فيها المتحاورون من طبقتين متفاوتتين، ومع ذلك لا يستعمل أفراد الطبقة الأدنى أي صيغ مخاطبة تعكس المكانة أو الوظيفة؛ وإنما تتم المخاطبة بالاسم الاول، أو بالكنية، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
غلام "عربي" من غلمان عدي بن حاتم	عدي بن حاتم (سيد قومه)	يا عَديّ	2: 578
مولاة لعبدالله بن جدعان	حمزة بن عبد المطلب	يا أبا عمارة	1: 291

لكننا نجد مثالًا آخر يلتزم فيه الطرفان العبد والسيد بصيغ خطاب غير متكافئة تعكس العلاقة الرأسية والبعد السلطوي؛ حيث يخاطب العبد سيده بصيغة "يا سيدي" بينما يخاطبه السيد باسمه الأول كما في هذا المثال الذي تدور فيه محاورة بين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، و"غلام لهما نصراني يقال له عدّاس" حيث نجد السيدين يخاطبان عبدهما باسمه الأول، بينما يلتزم الغلام بمخاطبتهما بصيغة "يا سيدي":

يقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَمَّا غُلامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ. فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ، قَالا لَهُ :وَيْلَكَ يَا عدّاس! مَا لَك تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ؟ قَالَ :يَا سَيِّدِي مَا فِي الأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إلا نَبِيٌّ، قَالا لَهُ :وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ، لا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ. (ibnu Hishām, 1955: 1, 421)

الإطار الرابع: ويمثّل خطاب المجتمع الإسلامي لخليفة رسول الله ﷺ؛ رأس السلطة في المجتمع الإسلامي؛ حيث نجد أفراد المجتمع الإسلامي -في المجمل- يحافظون على استعمال صيغة خطاب تعكس اللقب الوظيفي كما في المثال الآتي:

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيم الجُمحي على بعض الشام؛ فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهرَي القوم؛

فذُكر ذلك لعمر بن الخطاب، وقيل إن الرجل مصاب. فسأله عمر في قَدْمَةٍ قدِمها عليه فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قُتل. (ibnu Hishām, 1955: 2, 173)

ونلحظ بأن هذا النمط من الخطاب وليد حالة الدولة التي نشأت عقب ظهور الإسلام، بينما لم تكن شائعة في طور المجتمع القَبَلي الذي لم تكن صيغ المخاطبة تعكس فيه أي تراتبية أو علاقات عمودية.

الإطار الخامس، ويمثل خطاب أفراد المجتمع العربي لملوك الدول في تلك الحقبة، ونلمح فيها التزامًا من قبل المتحدث العادي لمحدِّثه ذي السلطة باستعمال صيغة مخاطبة تتضمن لقبًا يشير إلى الوظيفة الاجتماعية أو المنصب الرسمي، كما في الأمثلة الآتية:

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
نُفَيل بن حبيب الخَثْعَمي	أبرهة الحبشي	أيها الملك	1: 46
جعفر بن أبي طالب	النجاشي ملك الحبشة	أيها الملك	1: 336
عمرو بن العاص	النجاشي ملك الحبشة	أيها الملك	1: 337

ثالثًا، تداولية صيغ المخاطبة في عينة الدراسة في ضوء نظرية التأدب Politeness theory:

ينطوي مفهوم التأدب ضمن هذه النظرية على أخذ مشاعر الآخر في الحسبان إبّان الانخراط معه في تفاعل لغوي؛ فالشخص في هذه الحالة يختار أقواله بعناية ليجعل الآخر يشعر بالراحة. ومن هنا فإن اختيار صيغة الخطاب يمكن أن يمثّل علامة على التأدب. من حيث أن هذا الاختيار يُبنى على طبيعة علاقة المتخاطبين أو البعد الاجتماعي بينهم (Holms, 1992:268).

وتنطلق النظرية من مفهوم ماء الوجه face؛ حيث إنّ شكل الخطاب الذي يُستعمل إما أن يكون فيه حفظ لماء الوجه face-saving، أو أن يكون فيه إراقة لماء الوجه face-damaging، أو أن يتضمن تهديدًا أو إنذارًا بإراقة ماء الوجه face threatening (Mazyad, 2010)

وبحسسب براون وليفينسون؛ فإن صيغ المخاطبة في إطار نظرية التأدب تستخدم إما لإظهار التأدب الإيجابي أو التأدب السلبي. ففي حين أن التأدب الإيجابي خيار أو توجه تضامني، ويجري التزامه حال كون المتفاعلين تجمعهما علاقة ألفة، وقريبين بعضهم من بعض. بينما التأدب السلبي يكون مدفوعًا بحضور السلطة والمسافة في أحوال تكون فيها الرسمية طاغية على المتفاعلين (Brown and Levinson, 1987). وهكذا فإن التأدب الإيجابي يهدف إلى تعزيز الوجه الإيجابي للمخاطَب عن طريق التقارب من خلال استعمال أشكال صيغ مخاطبة حميميّة. ففي هذه الحالة ينظر المخاطِب إلى المخاطَب بوصفه عضوًا في مجموعة داخلية حيث شخصيته وسماته مقدرة ومحبوبة. في حين أن التأدب السلبي يهدف إلى إظهار الحذر تجاه المخاطَب حال كون الطرفين تفصلهما مسافة يمكن التعبير عنها بوصفي الاحترام، والاختلاف. ويجري تحقيق التأدب السلبي عادة من خلال صيغ المخاطبة الدالة على التشريف والألقاب.

نحاول في هذا القسم من البحث أن ندرس كيفية توظيف المتحاورين في عينة الدراسة لصيغ المخاطبة لغايات تداولية، وذلك من خلال مجموعة من النماذج. فمن خلال استقراء صيغ المخاطبة في عينة الدراسة وربطها بغايات المتحاورين؛ وجد البحث في حالات عدة اختيارًا وظيفيًا واعيًا لصيغة بعينها من صيغ المخاطبة من قبل أحد المتحاورين في محاولة منه لتغيير مسار المحادثة، أو التأثير في محاوره. كما في النماذج الآتية:

- **المثال الأول:**

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
أشراف قريش من الكفار	الرسول ﷺ	يا أبا القاسم	1: 290

نص الخبر:

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عبدالله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ :قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ. قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَوَقَفَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا الذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ. قَالَ: فَأَخَذَتْ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إلا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ أَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنْ الْقَوْلِ، حَتَّى إنَّهُ لِيَقُولَ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فو الله مَا كُنْتَ جَهُولًا" (ibnu Hishām, 1955: 1, 290).

التحليل:

الخطاب المعتاد من قبل كفار قريش للنبي ﷺ كما يظهر في عينة الدراسة هو مخاطبته باسمه الأول (يا محمد)؛ إلاّ أننا نجد في المثال السابق أن هؤلاء قد أصابتهم الخشية من كلمة النبي ﷺ لهم: " لقد جئتكم بالذبح" وهو ما عبّر عنه راوي الخبر عبدالله بن عمرو بن العاص بقوله: " فَأَخَذَتْ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إلا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ"، فعدلوا عن صيغة مخاطبتهم المعتادة للنبي ﷺ باسمه الأول إلى مخاطبته بكنيته في محاولة منهم إلى استرضائه، وتخفيف حدة غضبه. ونجد أن هذا الاختيار لصيغة المخاطبة جرى لغايات تداولية واضحة.

- **المثال الثاني**

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
أبو سفيان (قبل إسلامه)	علي بن أبي طالب	يا أبا الحسن	2: 397

نص الخبر:

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ [...] ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: أَأَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُول الله ﷺ؟ فو اللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إلا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ. ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهَا، وَعِنْدَهَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، غُلامٌ يَدِبُّ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّكَ أَمَسُّ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ، فَلا أَرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا، فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فِيهِ. فَالْتَفَتَ إِلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ: يَا بْنَةَ مُحَمَّدٍ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي بُنَيَّكَ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَكُونَ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بُنَيَّ ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنِّي أَرَى الأمورَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ، فَانْصَحْنِي. (ibnu Hishām, 1955: 2, 397)

التحليل:

في هذا المثال نجد تجليًا واضحًا "للتأدب السلبي"؛ فقد استهل أبو سفيان خطابه مع علي رضي الله عنه باسمه الأول: "يا عليّ" ثم حاول استعطافه بتذكيره بقرابته منه قبل أن يعرض عليه حاجته، لكنه حين قوبل بالرفض والصد من قبل علي رضي الله عنه، ثم من قبل زوجته فاطمة رضي الله عنها؛ انسحب نوعًا ما، وأراد –دفعًا للحرج أن يُلقي هالة من الرسمية على المحاورة؛ فاختار مخاطبة علي رضي الله عنه بكنيته هذه المرة، خصوصًا أنه أصبح في مقامٍ محرجٍ رُفض فيه طلبه، وبات مكتفيًا بطلب النصح من علي من موقف الندّ للندّ: " يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنِّي أَرَى الأُمُورَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ، فَانْصَحْنِي".

- **المثال الثالث:**

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
فاطمة بنت الخطاب (أخت عمر بن الخطاب)	عمر بن الخطاب	يا أخي	1: 344

نص الخبر:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ إِسْلامُ عُمَرَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنَّ أُخْتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ[...] قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ بَعْلُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلامِهِمَا مِنْ عُمَرَ، [...]، فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، [...]، فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عبدالله، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ، الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهَ أَحْلامَهَا، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ آلِهَتَهَا، فَأَقْتُلَهُ، فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا! أَفَلا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟ قَالَ: خَتَنُكَ وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا، قَالَ: فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إِلَى أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ، وَعِنْدَهُمَا خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ، فِيهَا: «طَه» يُقْرِئُهُمَا إِيَّاهَا، فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فِي مِخْدَعٍ لَهُمْ، أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا، قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لَتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنْ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَارْعَوى، وَقَالَ لأُخْتِهِ: أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنِفًا أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، طَمِعَتْ فِي إِسْلامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ، عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لا يَمَسُّهَا إلا الطَّاهِرُ. (ibnu Hishām, 1955: 1, 344)

التحليل:

نجد في هذا المثال كيف أنّ فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها كانت طوال هذه المحادثة مع أخيها "الكافر" تخاطبه باستعمال ضمير المخاطب "اصنع ما بدا لك"، " إنا نخشاك عليها"؛ إلاّ أنها حين أحست بندمه على ضربه لها، وشعرت بأن قلبه قد أشفق ورقّ "طمعت في إسلامه" على حد وصف الرواي الدقيق، فقررت أن تختار صيغة مخاطبة فيها تلطف وحميمية: "يا أخي" في توظيف بارع من قِبَلها لاستعطاف عمر وتذكيره بأخوتهما، وبأنها ما تريد به إلا خيرًا.

- **المثال الرابع:**

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
الرسول ﷺ	أبو طالب	أيْ عم	1: 418

نص الخبر:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَكَلَّمُوهُ، وَهُمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِ[...] فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى، وَتَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَادْعُهُ، فَخُذْ لَهُ مِنَّا، وَخُذْ لَنَا مِنْهُ، لِيَكُفَّ عَنَّا، وَنَكُفَّ عَنْهُ، وَلِيَدَعَنَا وَدِينَنَا، وَنَدَعَهُ وَدِينَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا بن أَخِي: هَؤُلاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ، قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ، لِيُعْطُوكَ، وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُونِيهَا تَمْلِكُونَ بِهَا الْعَرَبَ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: نَعَمْ وَأَبِيكَ، وَعَشْرَ كَلِمَاتٍ، قَالَ: تَقُولُونَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ. قَالَ: فَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ قَالُوا: أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ[...] قَالَ: ثُمَّ تَفَرَّقُوا. فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ يَا بن أَخِي، مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا، قَالَ: فَلَمَّا قَالَهَا أَبُو طَالِبٍ طَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِسْلامِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: أَيْ عَمِّ، فَأَنْتَ فَقُلْهَا أَسْتَحِلَّ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (ibnu Hishām, 1955: 1, 418)

التحليل:

في هذا المثال نلاحظ كيف أنّ النبي ﷺ تلقف قولة عمه أبي طالب: " وَاللَّهِ يَا بن أَخِي، مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا" واستنتج منها ميلًا لقبول الحق من قبل عمه؛ ف "طمع في إسلامه" على حد وصف الراوي؛ فاختار صيغة مخاطبة فيها تودد وتلطف واستعطاف باستعمال أداة النداء (أيْ): "أيْ عمِّ" في محاولة منه لاستثمار الفرصة، واستغلال مكانته عند عمه علّه ينتزع منه كلمة التوحيد!

- **المثال الخامس:**

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
يهود بني النضير	الرسول ﷺ	في السياق نفسه مرة يا أبا القاسم، ومرة يا محمد	2: 190-191

نص الخبر:

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلْجِوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَدَ لَهُمَا، [...] قَالُوا نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتُ، مِمَّا اسْتَعَنْتُ بِنَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ- وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ- فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً، فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ، أَحَدُهُمْ، فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً [...] فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ. [...] وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ، وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ.[...] فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ، وَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ[...] فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا، فَنَادَوْهُ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ، قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنْ الْفَسَادِ، وَتَعِيبُهُ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا. (ibnu Hishām, 1955: 2, 190)

التحليل:

في هذا المثال يظهر جليًا الاختيار الواعي والوظيفي لصيغة المخاطبة التي اختارها يهود بني النضير لمخاطبة النبي ﷺ في موقفين مختلفين: ففي الموقف الأول طمع اليهود باغتيال النبي ﷺ حين رأوه قد جلس غير محتاط إلى جنب جدار من بيوتهم؛ فاختاروا صيغة مخاطبة فيها احترام وهي مخاطبته بكنيته "أبا القاسم" لِيُقَوّوا اطمئنانه ريثما يدبرون أمر اغتياله. أما في الموقف الثاني -وقد كشف الله لنبيه نواياهم الخبيثة؛ فعاد لإجلائهم- اختار اليهود مخاطبته باسمه الأول "يا محمد" كنوع من عدم الاحترام.

- **المثال السادس:**

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
الرسول ﷺ	مَخْشِيّ بن عمر الضَّمري	يا أخا بني ضَمرة	2: 210

نص الخبر:

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَدْرٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ لِمِيعَادِهِ، فَأَتَاهُ مَخْشِيُّ بْنُ عَمْرٍو الضَّمْرِيُّ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ وَادَعَهُ عَلَى بَنِي ضَمْرَةَ فِي غَزْوَةِ وَدَّانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَجِئْتَ لِلِقَاءِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا أَخَا بَنِي ضَمْرَةَ، وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، ثُمَّ جَالَدْنَاكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْكَ مِنْ حَاجَةٍ. (ibnu Hishām, 1955: 2, 210)

التحليل:

نلاحظ في هذا المثال أن النبي ﷺ قد اختار مخاطبة محاوره لا باسمه الأول، ولا بكنيته، بل بنسبته إلى قبيلته في اختيار وظيفي غايته تذكير الرجل بما كان من موادعته على قومه بني ضَمْرَة إبان غزوة وَدّان.

- **المثال السابع:**

المخاطِب	المخاطَب	صيغة المخاطبة	التوثيق
العباس بن عبد المطلب نيابة عن الرسول ﷺ	المسلمون الفارون يوم حنين	يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرة	2: 445

نص الخبر:

عنْ كَثِيرِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: إِنِّي لَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ آخِذٌ بِحَكَمَةِ بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ قَدْ شَجَرْتُهَا بِهَا، قَالَ :وَكُنْتُ امْرَءًا جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ، قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ رَأَى مَا رَأَى مِنَ النَّاسِ :أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ فَلَمْ أَرَ النَّاسَ يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ :يَا عَبَّاسُ، اُصْرُخْ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ.. يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ، قَالَ : فَأَجَابُوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ! قَالَ :فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ، فَلا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَأْخُذُ دِرْعَهُ، فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ، وَيَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ، وَيُخَلِّي سَبِيلَهُ، فَيَؤُمُّ الصَّوْتَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُم مائَة، اسْتَقْبَلُوا النَّاسَ، فَاقْتَتَلُوا. (ibnu Hishām, 1955: 2, 445)

التحليل:

نلاحظ في هذا المثال أن النبي ﷺ قد استعمل في بادئ فرار المسلمين -حين فوجئوا بهجوم المشركين يوم حنين- صيغة الخطاب "أيها الناس"، وهي صيغة اعتاد ﷺ أن يخاطب المسلمين بها؛ إلاّ أنه حين رأى عدم تأثر المسلمين الفارين في هذا الخطاب -وهو ما عبّر عنه راوي الخبر العبّاس رضي الله عنه بقوله: "فلم أر الناس يلوون على شيء"- اختار النبي ﷺ صيغة مخاطبة أخرى اختيارًا وظيفيًا؛ إذ أمر عمه العباس بأن يخاطبهم بصيغة "يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السّمرة" وهي صيغة تتضمن تذكيرًا للفارّين بأمرين: الأول بلقبهم الأنصار الذي اكتسبوه من نصرتهم لرسول الله ﷺ، والثاني تذكيرهم ببيعة الرضوان التي كانت عند شجرة من شجر السَّمُر، وهي البيعة التي بايع فيها الصحابة النبي ﷺ عام الحديبية على قتال قريش وألا يفروا حتى الموت، وسببها ما أشيع من أن عثمان قتلته قريش حين أرسله النبي ﷺ إليهم للمفاوضة، لما منعتهم قريش من دخول مكة وكانوا قد قدموا للعمرة لا للقتال، وهي البيعة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (Al-Quran 48:18). وبالفعل فقد آتى هذا الاختيار لصيغة المخاطبة أكلَه كما يصف الخبر:" فَأَجَابُوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ! قَالَ :فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ، فَلا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَأْخُذُ دِرْعَهُ، فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ، وَيَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ، وَيُخَلِّي سَبِيلَهُ، فَيَؤُمُّ الصَّوْتَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.."

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة صيغ المخاطبة في العصر النبوي من خلال كتاب سيرة ابن هشام، وقد ركّزت الدراسة على ثلاثة محاور: الأول أشكال صيغ المخاطبة في العصر النبوي؛ فخلصت إلى أن مجموعة من الصيغ كانت مستعملة في ذلك العصر، وهي: الكنية، والاسم الأول، وألفاظ القرابة، والاسم الكامل، واللقب، وصيغة المخاطبة بالصفة.

وكان المحور الثاني دور العوامل الخارجية كالعمر والجنس والمكانة في تحديد صيغة المخاطبة؛ وقد خلص البحث إلى أن عاملي العمر والمكانة قد لعبا دورًا -وإن مكان محدودًا في أطر اجتماعية معينة- في اختيار صيغ المخاطبة. أما فيما يخص الجنس فلم تقدم عينة الدراسة شواهد كافية تفضي إلى استنتاج مقنع.

وخُصّص المحور الثالث لدراسة العوامل الداخلية للمتكلم ودورها في توظيف صيغ المخاطبة توظيفًا تداوليًا، وقد خلصت الدراسة إلى أن اختيار صيغ المخاطبة في كثير من أمثلة عينة الدراسة لم يكن عشوائيًا، بل كان قصديًا وموظفًا توظيفًا تداوليًا غايته التأثير في مآلات التخاطب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن هشام. (1995). *السيرة النبوية*. تحقيق محمد السقا، إبراهيم الأبياري، ط2، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الحسن، محمد موفق (2024). ملامح المقاربات التداولية عند علماء التفسير في توجيه دلالة صيغ مخاطبة البشر للبشر في القرآن الكريم. *مجلة دراسات الجامعة الأردنية*. 51(1): 515-526. https://doi.org/10.35516/hum.v51i1.1637

References

Al-Quraan Alkarim.

Braun, F. (1988). *Terms of Address: Problems and Patterns and Usage in Various Languages and Cultures*. Berlin: Mouton De Gruyter.

Brown, R., Ford, M. (1961). Address in American English. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 62, 375-385.

Brown, R.; Gilman, A. (1960). The Pronouns of Power and Solidarity. *In: T. A. Sebeok (ed). Style in Language. New York: Wiley*, 253-276.

Brown, P.; Levinson, S. C. (1987). *Politeness: Some Universals in Language Usage*. Cambridge: Cambridge University Press.

Clyne, M.; Norrby, C.; Warren, J. (2009). *Language and Human Relations. Styles of Address in Contemporary Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

Emar, H. (2021). *A Sociolinguistic Analysis of Terms Husbands Use to Address their Wives in Rural and Urban Areas in Palestine. (MA Thesis)*. Hebron University. http://dspace.hebron.edu:80/xmlui/handle/123456789/980

Fasold, R. (1990). *Sociolinguistics of Language.* Cambridge: Basil Blackwell Inc.

Formentelli, M. (2009). Addressing Strategies in a British Academic Setting. *Pragmatics*. 19(2), 179-196.

Alharbi, T. (2015). *A Socio-Pragmatic Study of Forms of Address and Terms of Reference in Classical Arabic as Represented in the Chapter of Joseph in the Holy Quran. (PhD Thesis)*. The University of Leeds.

Alhasan, M. M. (2024). Features of Pragmatics Approaches of interpreters in Orienting the Significance of Human to Human Address Forms in Holy Quran. *Dirasat: Human and social sciences.* 51(1): 515-526. https://doi.org/10.35516/hum.v51i1.1637

Ibn Hisham, A. (1955). *As-Siratu-Nabawiyyah*. Tahqiq As-Sakka, M.; Al-Abyari, I.; Ash-Shibli, A. (2nd Ed.), Cairo: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Publishers.

Holmes, J. (2013). *An Introduction to Sociolinguistics*. (4th edition), London: Routledge.

Ilie, C. (2010). Strategic Uses of Parliamentary Forms of Address: The Case of the U.K. Parliament and the Swedish Riksdag. *Journal of Pragmatics*, 42(4), 885-911.

Philipsen, G.; Huspek M. (1985). A Bibliography of Sociolinguistic Studies of Personal Address. *Anthropological Linguistics*, 27(1), 94-101.

Qin, X. (2008). Choices in Terms of Address: A Sociolinguistic Study of Chinese and American English Practices. *In Proceedings of the 20th North American Conference on Chinese Linguistics (NACCL-20)*, 1, 409-421.

Yang, X. (2010). Address Forms of English: Rules and Variations. *Journal of Language Teaching and Research*, 1(5), 743-745.

Zavitri, I.; Machmoed, H.; Sukmawati (2018). The Adress Terms in English and Selayerese: A Sociolinguistic Perspective. *Jurnal Ilmu Budaya*, 6(1). 129-134.